المحاضرة الثانية

اساس القيمة الخلقية

لقد اختلف الفلاسفة حول الأساس الذي تبنى عليه القيمة الخلقية وسنقدم هنا أهم المذاهب التي حاولت تحديد أساس ومصدر القيمة الخلقية

الاتجاه المثالي العقلي

يقرر العقليون ان علم الأخلاق علم معياري وليس علما وصفيا أي يبحث فيما ينبغي ان يكزن وليس فيما هو كائن واهتمامه بغاية قصوى او مثل أعلى او مستوى للحكم هو الذي يميزه عن غيره من العلوم الوضعية التي تدرس موضوعاتها كما هي في الواقع لا كما ينبغي ان تكون وهكذا يعتبر العقليون علم الأخلاق بحثا في قواعد السلوك واذا كان السلوك الذي تعني فلسفة الأخلاق بدراسته مشروط بأنه يصدر عن عقل دراك يتعقل الموقف ويتدبر نتائجه بإرادة حرة لان التبعية الخلقية لا تستقيم الا متى كان الفعل صادر عن تعقل وحرية اختيار ويعتبر العقليون الخير ضرورة عقلية ولهذا اصطنع العقليون منهجا استنباطيا عقليا في البحث عن الأخلاق والأخلاق بنظرهم ثابتة موجودة في ماهية الشيء التي هي تفسر قيمته وهذه الماهية لا تتأثر بالزمان لأنها مطلقة وهي صاردة عن مبادئ عامة ويقينية لخلوها من منفعة ذاتية او اجتماعية وغايتها في ذاتها والفعل الخلقي لا يتم الا بهذا المبدأ العام أي القيمة الخلقية للفعل تكمن في مبدا لا في نتائجه والافعال في ذاتها تحمل قيما والعقل وحده من هو من يميز بين الخير و الشر لا الوجود تابع للقيمة ومن ممثلي هذا الاتجاه نذكر

سقراط . افلاطون .كانط

١- النظرية الخلقية عند سقراط وافلاطون

١- الاخلاق عند سقراط

كان لسقراط إرهاصات في التفكير الخلقي تتمثل "في العبارات البسيطة المتناثرة في شعر الحكمة إبان القرن السابع والسادس قبل الميلاد"، وقد خلفت لنا بعض الفلاسفة في هذه الفترات شذرات من هذا القبيل لأن جل اهتمامهم كان متجهًا نحو موضوعات البحث الطبيعي والميتافيزيقي، من هؤلاء فيثاغورس "٥٠٠ ق.م" وهيرقليطس "٤٧٠ ق.م" إلا أن سقراط كان "أول من اهتم اهتمامًا ملحوظًا بدراسة السلوك الإنساني".

إنه تصدى لمغالطات السوفسطائية التي تستهدف زعزعة المبادئ الأخلاقية والاجتماعية، مما دعا سقراط إلى الاهتمام في فلسفته بالإنسان وسلوكه بعد أن كان هذا البحث يشغل مكانًا ثانويًا في البحث الفلسفي السابق عليه، إذ أنه لم يحفل بالنظريات العلمية- أي بالطبيعيات والرياضيات في عصره حيث آثر النظر في الإنسان فانحصرت الفلسفة عنده في محيط الأخلاق؛ لأنها أهم ما يتصل بالإنسان ويهمه "وهذا معنى قول شيشرون إن سقراط أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أو إنه حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس، وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان"

ولأهمية الدور الذي قام به سقراط في ميدان الأخلاق، ينبغي أن نعرض أولًا بإيجاز لموقف السوفسطائيين منها:

كان السوفسطائيون يدعون أن الطبيعة الإنسانية شهوة وهوى، وقد وضع المشرعون القوانين بغية قهر هذه الطبيعة، فهي تتغير بتغير الظروف والعرف، إنها إذن نسبية "ومن حق الرجل القوي بالعصبية أو بالمال أو بالبأس أو بالدهاء أو بالجدل أن يستخف بها أو ينسخها ويجري مع هوى الطبيعة".

وقد أقام السوفسطائيون المعرفة أيضًا على الإحساس، وذهب زعيمهم بروتاجوراس إلى القول بأن الفرد هو مقياس الأشياء جميعًا، وبذا تتعدد الحقائق بتعدد مدركيها وامتنع وجود حق أو باطل في ذاته.

ولئن كانت هذه النظرية في المعرفة، إلا أنهم مدوا أثرها إلى مجال الأخلاق وأصبحت القيم والمبادئ الخلقية - تبعًا لذلك - نسبية تتغير كما قلنا بتغير الزمان والمكان. لقد أطاحوا بالحقائق الثابتة في مجال المعرفة وأبطلوا القول بالمبادئ المطلقة في مجال الأخلاق.

"ورأى سقراط لزامًا عليه أن يهدم نظريتهم في المعرفة أولًا، لأنها أساس البناء الأخلاقي لهم، فأقام الحقائق الثابتة على العقل في ميدان المعركة بعد فصله بين موضوع العقل وموضوع الحس، وأصبح يرى أن الإنسان له عقل وجسم، فإن قوة عقله هي التي تسيطر على دوافع الحس ونزواته، مثبتًا أنه إذا كانت قوانين الأخلاق تتعارض مع الجانب الحيواني في طبيعتنا، فإنها تتمشى مع طبيعتنا الإنسانية العاقلة".

والقوانين العادلة تصدر عن العقل، وبعدها صورة مطابقة للقوانين الغير المكتوبة التي رسمها الآلهة في قلوب البشر، فالذي يحترم هذه القوانين فإنه يحترم العقل والنظام الإلهي أيضًا، وحتى إذا احتال البعض لمخالفتها تفاديًا للعقاب الذي قد يتعرض له في الدنيا، إلا أنه سيؤخذ بالقصاص لا محالة في الحياة المقبلة.

وأطلق سقراط عبارته المشهورة "الفضيلة علم والرذيلة جهل"، لأنه يرى أن الإنسان يريد الخير دائمًا ويهرب من الشر بالضرورة، "فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان أراده حتمًا، أما الشهواني فرجل جهل نفسه وخيره، ولا يعقل أنه يرتكب الشر عمدًا"

وقد أشار سقراط إلى خلود الروح، وأن هذا الخلود هو الثمن المقابل لحياة النفس الفاضلة في هذه الدنيا "وأن هذه النفس حينما تغادر الجسد سرعان ما تغمرها السعادة الدائمة لأنها ستحيا إلى جوار الآلهة في العالم العقلي"

وأثار سقراط مشكلات كثيرة في المحيط الأخلاقي ما زالت تشغل بال أهل الفكر حتى العصر الحاضر، فقد أراد بناء الأخلاق على العقل، وأساسها على قواعد ثابتة، وألغى رد الأخلاقية إلى سلطة خارجية.

ويظهر أثر النظرية السقراطية العكسي في دوائر متأخرة علماء اللاهوت في الغرب حيث يرون أن الله سبحانه وحده هو الذي يحدد الخير ويميز بينه وبين الشر، كما اتضح أثرها المؤيد

عند أصحاب المذاهب الوضعية من العقليين والحدسيين بعد تعديله، وما زال ناشبًا بينهم وبين أصحاب المذاهب الذاتية من الأخلاقيين الذين اعتنقوا مذهب السوفسطائيين معدلًا ومهما يكن من أمر، فقد اتجه سقراط اتجاهًا روحيًا خلقيًا ودينيًا إذ أعلن لقضاته ولشعب أثينا أنه يضع طاعة الإله فوق طاعتهم وفوق محبته لهم، وأنه لن يكف عن إرشادهم إلى الفضيلة - أي السعادة - وكان موقفه هذا رد فعل ضد الاتجاه المادي الغالب على معاصريه، ولهذا فإن اتجاهه الفلسفي الإنساني - كما يرى أستاذنا الدكتور قاسم - يعطينا "ردًا حاسمًا على نظرية بعض المحدثين الذين يفسرون العبقرية بأنها من صنع المجتمع. ومنهم دوركايم".

٢- الاخلاق عند افلاطون

تابع أفلاطون أستاذه سقراط ابستمولوجيًا وأخلاقيًا، ففي المعرفة فصل بين المعرفة الظنية بالمحسوسات والماهيات المفارقة للمادة "المثل"، ومن هنا عد الخير أسمى المثل وهو عنده مصدر الوجود والكمال، مخالفًا بذلك سقراط إذ أنه تجاوز الماهيات المتحققة في الموجودات المحسوسة إلى ما سماه بالمثل.

ولأفلاطون دور كبير في إبطال الاتجاه السوفسطائي الذي أقام الأخلاقية على الوجدان، إذ استهدف أفلاطون جعل القانون الأخلاقي عامًا للناس في كل عصر ومصر "ولا يتيسر هذا إلا بإقامته على أسمى جانب مشترك في طبائع البشر ونعني به العقل"، وزاد خطوة عن موقف أستاذه تجاه السوفسطائية، فرأى أن الفعل الخلقي يتضمن جزاءه في باطنه، وأن الإنسان الفاضل يؤدي الفعل الخير لذاته باعتباره غاية في نفسه، وأبطل بذلك المذهب السوفسطائي الذي وضع غاية الأخلاقية خارجها، ورهن الخيرية باللذة التي تنجم عنها.

واعتبر أفلاطون كأستاذه سقراط أن النفس أسمى من الجسد، فهي الحاصلة على الوجود الحقيقي وما وجود الجسد إلا وجودًا ثانويًا وغير مؤكد "وهو الذي يحمل قواها الروحية النبيلة ويوجهها وجهة غير أخلاقية لأنه مصدر الشرور والآثام.

ولهذا فإن النفس تشقى بهذا الوجود الأرضي، وتعود فتحاول الانطلاق من محبسها لتصعد إلى العالم المعقول".

وكان خصمًا لدودًا للسوفسطائيين القائلين باللذة وإن علامة العدالة هي سيادة الأقوى وإذعان الأضعف له، وإن الجميع يبتغون السعادة فلا ضرورة للخضوع لأي قانون، لأنه يكفي أن يتعهد الإنسان في نفسه أقوى الشهوات حتى تتحقق العدالة والفضيلة والسعادة، إذ على الشخص أن يستخدم ذكاءه وشجاعته لإرضاء شهوته مهما بلغت من قوة.

ويتلخص رد أفلاطون في أنه جاء الشهوات هو في الحقيقة تعهد آلام في النفس لا تهدأ فتصبح حياة الشهوة موتًا متكررًا، مثال ذلك "الأجرب الذي لا يفتأ يحس حاجته لحك جلده فيحك بقوة فتزيد حاجته ويقضي حاجته في هذا العذاب"، بينما الحكيم هو الذي يتقيد بحياة الاعتدال. ولما كان اهتمام أفلاطون بالفرد ككائن اجتماعي أيضًا يعيشه في ظل نظام سياسي معين، فإن الأخلاق ارتبطت عنده بالسياسة، ولذا فإن الحكيم في السياسة بوجه خاص يجب عليه الاعتدال وضبط شهواته قبل حكمه على الآخرين وإلا فسدت حاله وحالهم.

وردًا على حياة اللذة التي تصورها أتباع المذهب السوفسطائي، فإن أفلاطون يرى على العكس أن خفة الانفعال وضعف اللذة والألم هي سمة الحياة الفاصلة، وهي ألذ حياة، بينما حياة الرذيلة هي التي تتسم بالألم الذي يغلب ويدوم.

والفضائل عنده أربعة: ثلاثة منها تدبر قوى النفس وهي:

١- الحكمة فضية العقل تكمله بالحق، وهي أولى الفضائل ومبدؤها.

٢- العفة فضيلة القوة الشهوانية تلطف الأهواء.

٣- الشجاعة وهي فضيلة القوة الغضبية.

وقد رمز أفلاطون بقوى النفس الثلاث - أي الغضبية والشهوانية والعقلية - بالعربة ذات الجوادين فهما بمثابة القوتين الغضبية والشهوانية "أما الحوذي الذي يشد أعنة الجوادين فهو يرمز إلى القوة الناطقة".

وإذا ما تحققت الفضائل الثلاث للنفس، تحقق فيها التناسب والنظام، "ويسمي أفلاطون حالة التناسب هذه العدالة"، وهي الفضيلة الرابعة.

وإذا كان العدل على المستوى الفردي عند أفلاطون هو التوازن الصحيح بين القوى الثلاث، فإنه يصبح على المستوى الاجتماعي أداء الوظيفة المناسبة في المجتمع.

والعدل والحكمة - في رأي الدكتور سدجويك - هما الفضيلتان الرئيسيتان عند أفلاطون، وهما - متى بلغتا أسمى صورهما - تضمنت إحداهما الأخرى بالتبادل "فالنفس الحكيمة هي بالضرورة تلك التي تعمل فيها كل القوى باتساق وانسجام، ولا يكون عملها هذا كاملًا ما لم تكن القوة الناطقة المهيمنة حكيمة حقًّا".

وإذا ما تحقق التوازن - أي العدالة - بين قوى النفس وفضائلها تحقق للنفس سعادتها، وهي حالة باطنية عقلية أخلاقية، يظهر فيها فيل النفس وصحتها "وسيطرة الجزء الإلهي فيها على الشهوات ورغبات الجسد، وهذا هو الوضع الذي ينبغي أن يكون عليه الإنسان".

إنه يؤكد أن الفضيلة - أي الحكمة - يكمن فيها خير الإنسان وسعادته. لبيان كذب دعوى السوفسطائيين الذين ينادون بطلب اللذة استجابة لنداء الطبيعة، فإن دليل كذبهم أن الطبيعة لا تدعو إلى أن يعمل الإنسان على دمار نفسه، ولهذا فهو لا يكتفي بتقويض دعائم آرائهم، بل يذهب إلى ضرورة فرض أنوع من العقوبات على المنحرفين إلى الرذيلة، فليس أشنع من ارتكاب المرء جريمة ثم الإفلات بلا عقاب يصلحه ويقومه. ويظهر تأثر أفلاطون بالمذهب الفيثاغوري في تصوره الجسم بأنه مصدر شقاء النفس وأصل جميع الشرور، فهي سجن النفس ومانعته من الانطلاق إلى العالم الأعلى، ولا خلاص لها إلا بالتطهر والمجاهدة، وهكذا تنتهي الأخلاق عنده إلى نوع من الزهد والنسك

المصادر والمراجع

١- توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية: نشأتها وتطورها ،دار النهضة العربية ، ١٩٦٧.

٢- زكريا إبراهيم، المشكلة الخلقية، مكتبة مصر بالفجالة، القاهرة، ١٩٦٩

٣- بدوي، عبد الرحمن. هل يمكن قيام أخالق وجودية؟ القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٥٣.

٤- بدوي عبد الرحمن : الاخلاق النظرية. ط ٢. الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٦. ٥- بريل، ليفي. الأخلاق وعلم العادات الاخلاقية. ترجمة محمود قاسم. مراجعة السيد محمد بدوي.

٦- القاهرة: مطبوعات مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٩٥٣.

٧- رجب، منصور علي. تأملات في فلسفة الأخلاق. القاهرة: مطبعة مخيمر، ١٩٥٣.

٨- سدجويك، هـ. المجمل في تاريخ علم الأخلاق. ترجمة توفيق الطويل وعبد الحميد حمدي. الإسكندرية: دار نشر الثقافة، ١٩٤٩.

٩- الشرقاوي، محمد عبد الله. الفكر الأخلاقي: دراسة مقارنة. بيروت: دار الجيل، ١٩٩٠.

١٠- قام، يعقوب. دراسات في الأخلاق. القاهرة:]د.ن.[،]د.ت.[.

١١- موسى، محمد يوسف. مباحث في فلسفة الأخلاق. القاهرة: مطبعة الأزهر، ١٩٤٣.

١٢- موسى محمد يوسف : في تاريخ الاخلاق. القاهرة: مطبعة أمين عبد الرحمن،]د.ت.[.

١٣- جون رولز : محاضرات في فلسفة الاخلاق ، ترجمة ربيع وهبه، سلسلة "ترجمان" في المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات ،،ط١، ٢٠١٩

١٤ فارورق عبد المعطي:الأعلام من الفلسفة : سقراط - رائد فلاسفة اليونان. سقراط - رائد فلاسفة اليونان - جزء - ٢٧ / سلسلة أعلام الفلاسفة ،دار الكتب العلمية ' القاهرة ،١٩٩٣

١٥ - أميرة حلمي مطر : الفلسفة اليونانية تاريخها ومشكلاتها ، طبعة جديدة ١٩٩٨ م ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة .

١٦ - أوليف جيجن : المشكلات الكبرى في الفلسفة اليونانية ، ترجمه عن الألمانية وعلق عليه د . عزت قرني ، ١٩٧٦ م ، توزيع دار النهضة العربية القاهرة .

١٧- حربي عباس عطيتو : ملامح الفكر الفلسفي عند اليونان ، ١٩٢٢ م ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية .

١٨- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، ١٩٩٩ م ، لجنة التأليف والترجمة و النشر ملتزم توزيع هذا الكتاب مكتبة النهضة المصرية .

١٩- جعفر ال ياسين : فلاسفة يونانيون من طاليس الى سقراط ، دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع، المركز العلمي العراقي،٢٠١٢،

٢٠- ريكس وورنر : فلاسفة الإغريق ترجمة عبد الحميد سالم ، ١٩٨٥ م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢١- و . ك . س . جثري : الفلاسفة الإغريق من طاليس إلي أرسطو ترجمة وتقديم د . رأفت حليم سيف مراجعة د . إمام عبد الفتاح إمام ، مطبعة الطليعة، بيروت،١٩٨٨.

٢٢- كوبلستون(فردريك): تاريخ الفلسفة، المجلد الأول، اليونان وروما، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

٢٣ - ستيس(وولتر): تاريخ الفلسفة اليونانية، ترجمة: مجاهد عبد المنعم مجاهد، دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٤م.

٢٤ - برهييه(إميل): تاريخ الفلسفة، الجزء الأول، الفلسفة اليونانية، ترجمة: جورج طرابيشي، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٧

٢٥ – أفلاطون : الجمهورية ، المحاورات الكاملة ، المجلد الأول ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٢٦ – أفلاطون : بارمنيدس ، المحاورات الكاملة ، المجلد الثاني ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٢٧ - أفلاطون : فيدون ، المحاورات الكاملة ، المجلد الثالث ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٢٨ - أفلاطون : السفسطائي ، المحاورات الكاملة ، المجلد الثاني ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٢٩ - أفلاطون : ثياتيتوس ، المحاورات الكاملة ، المجلد الخامس ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .

٣٠ - أفلاطون : طيماوس ، المحاورات الكاملة ، المجلد الخامس ، نقلها إلي العربية شوقي داود تمراز ، ١٩٩٤ م ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت – لبنان .